رأي القدس

لعنة لبنان تطارد اولمرت

■ بدأت آثار الهزيمة التي مني بها الجيش الاسرائيلي في لبنان تنعكس بشكل واضح، وباسرع مما توقع الكثيرون، في الاروقة السياسية الاسرائيلية، وتهدد بفرط الائتلاف الحاكم، والدعوة الى انتخابات عامة في المستقبل المنظور.

فيوم امس منيت حكومة ايهود اولمرت الائتلافية بانتكاسة بسبب احجام نواب حزب العمل، الشريك في الائتلاف، عن دعم خفض في الموازنة بمقدار مليارى شيكل (460 مليون دولار) لتغطية الانفاق العسكري، ومساعدة المدن والقرى في الشمال على التعافي من مخلفات الحرب.

وتأتي هذه الانتكاسة بعد المظاهرات التي نظمها عدد كبير من جنود الاحتياط، وامتناع آخرين عن الخدمة في الجيش الاسرائيلي، وموجة التحقيقات بالفساد التي تستهدف عدداً كبيرا من المسؤولين الاسرائيليين.

فقد وقع مئات من جنود الاحتياط العائدين من الحرب في لبنان على رسالة احتجاج تتهم الحكومة بسوء ادارة القتال واخفاقاتها في توجيه ضربة قاضية لحزب الله، ودعا هؤلاء وغيرهم اولمرت وعمير بيرتس وزير الدفاع، الى الاستقالة فورا واجراء تحقيق شامل لمعرفة اسباب هذه الاخفاقات غير المسبوقة في تاريخ الدولة العبرية.

العدوان على لبنان بات بمثابة «اللعنة» التي سيدفع الاسرائيليون ثمنها غاليا في الاعوام المقبلة، من امنهم واقتصادهم ومؤسساتهم السياسية وتركيبتهم الاجتماعية. فعلاوة على الخسائر المادية التي وصلت الى اكثر من مليارى دولار، هناك الخسائر البشرية (مئة جندي) والنفسية وهي اخطر بكثير.

الحرب الاسرائيلية في لبنان لم تحقق اغراضها في انهاء وجود «حزب الله» والافراج عن الجنديين المخطوفين، ليس لان الجيش الاسرائيلي ضعيف، وانما لان المقاومة الاسلامية قوية، واستعدت لمواجهة العدوان الاسرائيلي بطريقة فاعلة ومؤثرة فاجأت الجميع، بمن في ذلك الخبراء والمحللون العسكريون وقادة الجيش الاسرائيلي.

فالامن القومي الاسرائيلي بات، ولاول مرة، منذ قيام الدولة العبرية مهددا في العمق. وربما يصبح هذا التهديد اكبر في الاعوام المقبلة، لان هيبة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية تآكلت وبشكل متسارع، بسبب اخفاقاتها في لبنان امام حركة مقاومة صغيرة في عدد افرادها، كبيرة في تخطيطها وتنظيمها واستعداداتها.

الاسرائيليون يعيشون حاليا حالة من الاكتئاب، ربما تتزايد في المستقبل القريب وتتحول الى ازمة مزمنة. فالمواجهة بين الولايات المتحدة وايران بسبب ملف الاخيرة النووي باتت شبه مؤكدة، والصواريخ الايرانية، الابعد مدى والاكثر خطورة، ستضرب العمق الاسرائيلي، اي انها ستصل الى اهداف لم تصل اليها صواريخ حزب الله، قد تكون تل ابيب على رأسها.

وحدة الموقفين العربي والاسلامي مرتبطة بمشروع التحرير

د. سعيد الشهابي *

■ برزت في الحرب الأخيرة مسألة العلاقات بين المكونات العرقية والمذهبية للأمتين العربية والاسلامية، كبعد أساس في اي تخطيط مستقبلي للتعاطي مع القضايا الكبرى التي تواجهانها. الامر الذي تجلى بوضوح، خصوصا مع استمرار المعارك، حالة النشوة والأمل التي عمت كافة الاوساط في شرق العالم الاسلامي وغربه، وتمرد الجماهير على المقولات التثبيطية التي انطلقت من هذه الجهة او تلك. فقد عمت المسيرات الداعمة للمقاومة بشكل شبه يومي العواصم والمدن ليس في الدول الاسلامية فحسب، بل في بقية البلدان ايضا. وكانت مسيرات عملاقة وصاخبة، كشفت عمق الارتباط المعنوي بين الشعوب وحركة النضال التحررية ضد الاحتلال والامبريالية.

ومع تواصل الاعمال العدوانية ازدادت كثافة المسيرات والاحتجاجات التي لم يفت المشاركين فيها الربط بين الولايات المتحدة و«اسرائيل»، وما يعنيه ذلك الربط من وعي سياسي بحقيقة ما يجري. فلم يكن العدوان شأنا اسرائيليا فحسب، بل كان مدعوما بشكل كامل من الولايات المتحدة الامريكية التي عارضت في بداية الامر الدعوات التي تطالب بوقف اطلاق النار، ولم توافق عليه الا بعد ان اصبح واضحا ان «اسرائيل» تتجه نحو هزيمة كبيرة. التفاعل الجماهيري الايجابي كان له دوره في تصميم المجاهدين وصمودهم، اذ شعرت قيادة حزب الله انها مدعومة من الشارعين العربي والاسلامي بشكل منقطع النظير، وان شرعية عملها تنطلق اولا من التزامها الديني والوطني، وثانيا من تمثيلها لنبض الجماهير العاشقة للحرية من مسلمين وغيرهم.

وثمة أمر مهم مرتبط بظاهرة الدعم الشعبي للمقاومة، وهو تلاشي الحدود المذهبية والجغرافية عندما ترتفع معنويات الجماهير، وتضخمها في حالة الخمول والتراجع. ففي الوقت الذي تعمل قوى ظاهرة وخفية على اضعاف الامة باذكاء توترات طائفية في العراق، البلد العربي المشرقي الاكبر، استطاعت مبادرة حزب الله الشجاعة صب الماء على النار، فاذا بالحدود المذهبية تختفي تماما، وتستبدل بتوحد منقطع النظير في المواقف السياسية والمشاعر، وهنا لا بد من التوقف عند هذه الظاهرة نظرا لأهميتها في أية محاولة لبلورة موقف عربي ـ اسلامي موحد في عالم اصبحت التكتلات فيه تمثل مراكز القوى الحقيقية المؤثرة على سياسات العالم السياسية والاقتصادية.

ولاستيضاح اهمية انجازات حزب الله في هذا الجانب تجدر الاشارة الى عدد من الحوادث والمواقف التي تجسدت خلال الحرب. في بداية المعارك، لم يكن الموقف واضحا لدى البعض، ولكن أربع حكومات عربية (مصر والسعودية والاردن والبحرين) بادرت لاعلان موقف مخز ضد المقاومة معتبرة ان ما قام به حزب الله مغامرة سوف تجر الى الويلات. وقد اثبتت التطورات اللاحقة ونتائج الحرب فشل هذا الموقف المخزي الذي سيظل نقطة سوداء في سجل هذه الحكومات الخانعة. وانسجاما مع مواقف هذه الأنظمة، أطلق بعض وعاظ السلاطين فتاوى ضد حزب الله، محاولين اثارة الخصوصيات المذهبية، والتشويش على المعركة لصالح «اسرائيل» وامريكا. ويمكن القول ان هذه المواقف والفتاوى دفعت لردود فعل معاكسة، فتصدى العلماء الاحرار، ومعهم الجماهير الغاضبة لهذه المواقف والفتاوى بالشجب والتنديد، وأدت الى تبلور حالة شعبية أكثر وعيا باتجاه الوحدة والشد على أيدي المقاومين. المواقف الاسلامية ازدادت ثباتا ومبدئية مع صمود أبطال المقاومة، حتى بلغ الامر مستوى متقدما عندما أصدر العلماء الواعون في كافة البلدان الاسلامية فتاوى دينية داعمة لحزب الله. وبينما كان البعض يدعم الحرب الطائفية في العراق، انبرى اولئك العلماء لاصدار الفتاوى التي تمنع اثارة الفتن الطائفية، وتدعو الى التركيز على القضية المركزية: اي الصراع بين المقاومة الاسلامية وقوات الاحتلال من صهاينة وامريكيين.

من هذه المواقف، ما أصدره الشيخ يوسف القرضاوي من فتاوى بدعم المقاومة ماديا ومعنويا، ورفض التشبث بالخصوصيات المذهبية كذريعة لعدم الدعم. فقد أكد الشيخ القرضاوي أن المقاومة اللبنانية جهاد شرعي، وتمثل أشرف مقاومة على الأرض مع شقيقتها بفلسطين، وأن الشيعة جزء من الأمة الإسلامية و«واجب» على كل مسلم نصرة هذه المقاومة ضد العدو الإسرائيلي. جاء ذلك في حوار أجرته معه صحيفة «الوفد» المصرية (الخميس 27 تموز/ يوليو 2006)، أشاد خلاله بمواقف الشعوب العربية فيما أدان مواقف الحكام العرب المنتقدين للمقاومة.

وأكد القرضاوي على أن «المقاومة أشرف ما في الأمة، سواء في فلسطين أو لبنان، ولا يضير المقاومة اللبنانية أنها من الشيعة، فهم جزء من الأمة الإسلامية؛ لأنهم من أهل لا إله إلا الله، ويتفقون معنا في كثير من الأصول، وإن خالفونا في بعض الفروع». وبعد ان أصدر بعض علماء السعودية فتاوى تدعو إلى عدم جواز نصرة حزب الله الذي يواجه الاعتداءات الإسرائيلية، على اعتبار أنه «حزب شيعي» بادر المثقفون والعلماء للرد على تلك الفتاوى. فطالب العالم السعودي الشيخ سلمان بن فهد العودة المشرف العام على مؤسسة «الإسلام اليوم» بتوحيد الصف الإسلامي والعربي في مواجهة إسرائيل التي وصفها بالعدو المشترك الذي يدمر كل مقومات الحياة. وأكد العودة في بيان خاص رد على تلك الفتاوى بأن الأزمة التي تعيشها الأمة العربية والمسلمة تحتم على الجميع تأجيل خلافاتهم الداخلية لوقت آخر، «فعدونا الأكبر هم اليهود والصهاينة المجرمون، الذين لم يفرقوا في عدوانهم بين الأطفال والمحاربين». وقال مفتي مصر الشيخ علي جمعة «إن مقاومة حزب الله للعدوان الإسرائيلي هو دفاع عن لبنان وليس إرهابا»، مشيرا إلى أن ما يحدث في لبنان من «اعتداءات وقتل وتدمير من قبل القوات الإسرائيلية هو الظلم بنفسه». وانتقد المرشد العام للإخوان المسلمين في مصر محمد مهدي عاكف الفتاوى السعودية مؤكدا أن بعض الجهات تحاول إحياء الانقسامات الطائفية القديمة. وقال البيان الذي أصدره إن «بعض الحكومات تحاول إخفاء عجزها عن دعم المقاومة والتغطية على وقوفها إلى جانب العدوان الإسرائيلي والتعنت الأمريكي، من خلال إثارة مثل هذه الخلافات بين الشيعة والسنة، ومن خلال القول إن المقاومة اللبنانية تعمل لصالح إيران».

هذا هو موقف علماء المسلمين السنة من الحرب الاخيرة التي انتصر فيها حزب الله على قوات الاحتلال. اما علماء الشيعة فقد كانت لهم مواقفهم الواضحة عندما كانت المجموعات الفلسطينية تخوض المعارك ضد الاحتلال. فبعد نكسة حزيران في 1967 بدأت حرب الاستنزاف وشرعت المجموعات الفلسطينية الحديثة العهد، مثل حركة فتح، في المواجهة المسلحة مع الاحتلال الاسرائيلي.

وكان الخطاب التحرري آنذاك يصهر المشاعر في بوتقته، ويمنع تداعي الموقف العربي والاسلامي. وأصدرت المرجعية الدينية آنذاك ممثلة بجمهرة من كبار علماء النجف الأشرف وزعاماتها الروحية، أمثال السيد محسن الحكيم والسيد روح الله الموسوي الخميني والسيد محمود الشاهرودي والسيد أبو القاسم الخوئي والشيخ علي كاشف الغطاء، فتاوى صريحة توجب على الأنظمة السياسية العربية الدفاع عن الأمة، وقطع منابع البترول عن كل الدول التي تدعم وتساند وتقف مع الكيان الصهيوني، مطالبين بوضوح باستخدام النفط وتوظيفه سلاحاً في معركة التحرير. السيد محسن الحكيم افتى في حينها بجواز صرف الحقوق الشرعية لدعم النضال الفلسطيني في وقت كان فيه شاه ايران يتفاوض مع الاسرائيليين.

وفي جواب على سؤال وجهه إليه مجموعة من الفدائيين الفلسطينيين حول جواز أو عدم جواز صرف الحقوق الشرعية من الخمس والزكاة على موارد تسليح المسلمين، جاءت فتوى الامام الخميني كما يلي: «كنت قد ذكرت سابقاً، أن إقامة دولة إسرائيل الغاصبة خطر عظيم على الإسلام والدول الإسلامية، والذي نخشى منه أن يهمل المسلمون هذا الكيان، ويضيعوا الفرصة من بين أيديهم، وبعد ذلك لا يمكنهم فعل شيء، وبما أن الخطر على الإسلام موجود، فيجب على الدول الإسلامية خصوصاً، وسائر المسلمين عموماً، أن يدفعوا جرثومة الفساد هذه بأي نحو كان، وأن لا يقصروا بمساعدة العاملين لهذا الغرض ويجوز الصرف من الزكاة وسائر الصدقات لهذا الأمر». وفي فتوى أخرى صدرت في 1971 بهذا الصدد يقول الإمام الخميني: «من الراجح بل الواجب، تخصيص قسم من الحقوق الشرعية من الزكاة وحق الإمام، بما فيه الكفاية، للمجاهدين في سبيل الله، المرابطين في خطوط الشرف والمجد للقضاء على الصهيونية الكافرة اللاإنسانية واستعادة المجد الإسلامي الجريح وتعزيز التاريخ الإسلامي المشرف، وعلى كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبذل كل جهوده في هذا السبيل».

وكان للعالم الكبير الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء فتوى شهيرة منذ اوائل الاحتلال الاسرائيلي. فعندما سئل في 1947 عن الموقف من المحتلين في فلسطين، اجاب «من واجب المسلمين جميعاً في سائر الأقطار أن يقاطعوهم ومن يحميهم ويساعدهم. ومن يشتري منهم أو يبيعهم أو يروج صنيعهم أو يلبس منتجاتهم أو يأكل من حاصلاتهم أو يعاملهم بأي معاملة تجارية أو غيرها فقد حارب الله ورسوله وباء بغضب من الله ورسوله وقد خان الحق وطعن في قلب العرب والإسلام بل وخرج من دين الإسلام لقوله تعالى: «ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين».

أعداء الأمة يدركون أهمية تلاحم صفوف العرب والمسلمين في جبهة صلبة ضد العدوان والاحتلال. ولذلك عمدوا بشكل مستمر لاذكاء روح الفرقة، على اسس عرقية تارة، ومذهبية تارة أخرى، وذلك لمنع وحدة الموقف. وإعلام هذه الدول لا يتحدث عن المجتمعات العربية والاسلامية الا ضمن أطر مكوناتها العرقية او المذهبية. فالحديث عن مصر لا بد ان يتطرق الى «صراع» مختلق بين المسلمين والاقباط، وفي لبنان، تطرح مسألة التكوينات الدينية والطائفية، وفي السودان، تطرح المسألة الدينية عنوانا للازمة، ويجري الحديث عن احتمال ارسال قوات دولية لتأزيم الوضع، وذلك مقدمة للتقسيم. وتقسيم السودان هدف للولايات المتحدة والدول الاوروبية، ضمن خطة الهيمنة على العالمين العربي والاسلامي، ومد النفوذ الى افريقيا. وفي الجزائر، تطرح التباينات العرقية بين العرب والبربر بهدف الاثارة والتمزيق. وتبرز الأزمة في العراق كأبرز مثال للتمزيق الطائفي الذي يهدف لاضعاف البلد بهدف الوصول الى تشتيته على اسس عرقية وطائفية.

في غياب المشروع العربي الاسلامي الكبير للتحرير والانفتاح السياسي الداخلي والتنمية، ستظل المنطقة عرضة لمؤامرات التمزيق، وتساعد انظمة الحكم القائمة في هذا الوضع بشكل مباشر. فعندما يتلاشى الامل لدى المواطن العادي بسبب سياسات القمع والفساد السلطوي، يصبح عرضة للانزلاق في المخططات التي تهدف للتمزيق والاضعاف.

وهنا تكمن اهمية النصر الذي حققه حزب الله ضد العدو الاسرائيلي. فهو ليس انتصارا ضد الكيان الصهيوني الغاصب فحسب، بل ضد المشروع الغربي الذي يستهدف الامة بعمومها، وضد الروح الانهزامية لدى الانظمة العربية. الغريب في الامر، هذا الاصرار الامريكي على الدعم غير المحدود للكيان الاسرائيلي. فمن الناحية العملية، لم تعد «اسرائيل» ذات اهمية خاصة للولايات المتحدة مثلا، ولكن استمرار وجودها متفوقة عسكريا يوفر عنصرا مهما للقوى الغربية للامعان في اذلال الدول العربية وابتزازها، وابقائها في حالة توتر وتخلف مستمرين.

من هنا فان ما تحقق على ايدي أبطال حزب الله انتصار ضد مشروع واسع وخطير، ومن المتوقع ان تبادر الولايات المتحدة و«اسرائيل» وبريطانيا لاعادة النظر في استراتيجية مواجهة المشروع الاسلامي بشكل يمنعه من تحقيق انجازات كبرى كالتي حققها حزب الله. هذا التحالف يخشى من عدد من الامور، اهمها فشل سياسات التمزيق على اسس عرقية ومذهبية، خصوصا بعد الالتفاف العربي والاسلامي العارم حول المقاومة، والدعم المطلق لها، وفشل الحكومات العميلة ووعاظها في التأثير على مجريات الوضع العام، خصوصا العلاقات بين مكونات دول المسلمين. ولذلك فليس مستبعدا تكثيف الجهود لتعميق التوتر الطائفي في العراق بشكل أوسع في المستقبل القريب، للقضاء على الآثار النفسية لانتصار حزب الله وما أنجزه من تقارب اسلامي ـ اسلامي ولذلك لمنع قيام تضامن اسلامي عميق. من هنا مطلوب من علماء المسلمين، سنة وشيعة، تكثيف التواصل والحوار في ما بينهم، بهدف الحفاظ على وحدة الموقف وافشال محاولات التفتيت الغربية المستمرة، وتوجيه الجماهير مجددا على طريق النهضة الشاملة لمواجهة المشروع الغربي. وستظل فلسطين، كما كانت، بؤرة التواصل الاسلامي بسبب ما تمثله من رمزية دينية لجميع المسلمين. أن استمرار مشروع التحرير الكبير الذي بدأه حزب الله، والذي به تصاعدت المعنويات، وتوسعت آفاق العلماء والجماهير، وعلى صخوره تكسرت غطرسة المحتلين وداعميهم، المدخل لتوحيد المواقف ورفع المعنويات وإفشال مشروع التبعية والتمزيق استبدال روح الضعف بمشاعر القوة والرغبة في النصر.

* كاتب وصحافي بحريني يقيم في لندن

لبنان: صفحة جديدة من الأمل تُفتح

سيد ولد سيد احمد *

■ إن الحرب الأمريكية الثالثة، بعد حربي أفغانستان والعراق التي قادتها إسرائيل بالوكالة، لم تستطع أن تحقق الأهداف التي قامت من أجلها وهي ميلاد شرق أوسط جديد تكون فيه الكلمة الأولى للولايات المتحدة الأمريكية وذراعها الإستراتيجية في المنطقة «إسرائيل»، شرق أوسط جديد تسيطر فيه القوة العظمى على بوابات الممانعة بعدما سيطرت على آبار النفط في الخليج وبذلك تضع الشعوب العربية أمام خيار واحد هو الإستسلام من خلال دعم عملائها في لبنان والإلتفاف على قوى المقاومة في فلسطين.

لكن الرياح سارت بما لا تشتهيه السفن وأدركت أمريكا أن حليفها لا يقوى على أداء المهمة الكبرى المنوطة به بعدما أصابه من ضربات المقاومة الباسلة في لبنان على يد رجال أشداء عاهدوا الله والأمة على مقارعة هذا السرطان الذي ظل يعبث بكرامة هذه الأمة منذ وعد «بلفور» المشؤوم سنة 1898 وبدءا من ثورة القسام وتقسيم فلسطين ووصولا إلى كل الحروب العربية التي أدت إلى الهزائم العربية وإلى خسارة الأرض والكرامة العربية، وظهور أنظمة السلام المزعوم ومنظري الهزيمة في العالم العربي الذين ينشدون أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان، وأن هزيمة المشروع الصهيوني في المنطقة العربية درب من الخيال لا يمكن تحقيقه في ظل إختلال التوازنات القائمة بين القوى الكبرى الداعمة لهذا الكيان وبين دول عربية تعاني أصلا من عدم الإستقرار والتخلف الإقتصادي.

لقد ولى زمن الأنظمة وحروبها الفاشلة وبزغ فجر الشعوب والمجتمعات المدنية ليعطي أملا لهذه الأمة التي باتت تبحث عن خلاص في عالم لايرحم الضعفاء ولا يعيش فيه إلا الأقوياء، وهكذا برزت إلى الوجود حركات المقاومة في عالمنا الإسلامي في فلسطين ولبنان والعراق وأفغانستان حيث بدأ العد التنازلي للحلف الأمريكي ـ الصهيوني يترنح تحت ضربات المقاومة.

ورغم اللعب هذه القوة العظمى المتواصل على أدوات التقسيم الطائفي والعرقي والمذهبي، فإنها لم تفلح في صد الشعوب عن دعم المقاومة في كل هذه البلدان وأظهرت الحرب في لبنان أن هناك إدراكا ووعيا في العالمي العربي والإسلامي لأولويات المرحلة والتي تبرز في مقدمتها مواجهة هذا الكيان الغاصب لأرضنا والمنتهك لأعراضنا دون أن يحرك العالم الحر أي ساكن وهو صاحب القيم الديمقراطية والإنسانية لكنها تبقى قيم محلية لا تتجاوز حدوده وإلا تحولت الى قنابل عنقودية تقتل الطفل والعجوز وتدمر الحجر والبشر.

لقد وقف كل المظلومين والمستضعفين والأحرار في العالم في مواجهة العدوان الأمريكي ـ الصهيوني على أهلنا وشعبنا في لبنان وفي المقابل كانت قوة الظلم والعمالة تفعل فعلتها في لبنان وشعبه وتتآمر عليه وعلى شعبه من فوق وتحت الطاولة مسندين بذلك الدمار الهائل الذي تخلفه الآلة العسكرية الإسرائيلية في مدن وقرى لبنان العزيز.

لكن زمن النجاحات الإسرائيلية وتفوقها عسكريا وإستخباراتيا وإعلاميا قد ولى وبدأت قوى المقاومة في العالم العربي والإسلامي تأخذ بأسباب القوة «وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم».

وظنت إسرائيل وبعض من تحالف معها من قوى الظلم والعدوان أن الفرصة سانحة للإنقضاض على حزب الله وأخذ الثأر منه بإلحاق الهزيمة غير مدركين أن زمن العلو الصهيوني بدأ في التراجع وأن ما عجز عنه جنرالات الحرب ومؤسسو الدولة العبرية لن يحققه جيل وارين بوفيت «شركة الإتصال العملاقة في شمال فلسطين المحتلة» والذي قال عنه الكاتب الأمريكي توماس فريدمان: «ويحلم الشباب الإسرائيليون بأن يكونوا مستثمرين، ونماذجهم الملهمة هم المبدعون الاسرائيليون، الذين وجدوا طريقهم الى ناسداك. ويحلم شباب حزب الله في ان يكونوا شهداء، ونماذجهم الملهمة هم المتطرفون الاسلاميون، الذين وجدوا طريقهم الى العالم الآخر. وقضت اسرائيل السنوات الست الأخيرة تستعد لوارين بوفيت، بينما قضى حزب الله السنوات الست الأخيرة يستعد لهذه الحرب».

لقد وجد هواة الحياة هؤلاء رجال المقاومة ينتظرونهم على ثغور لبنان ليحققوا نصرا إستراتيجيا وتاريخيا كما قال سيد المقاومة، فبدأ الجيش الإسرائيلي عاجزا عن إنجاز أي مكسب أما صمود هؤلاء المقاومين، فلم يحتلوا مدنا ولا قرى ولم يستعيدوا أسراهم ولم يقتلوا قائدا مهما من قيادات المقاومة لا بل إن جنوب لبنان صار مقبرة لجنودهم وآلياتهم ودباباتهم وأصبحوا يفرون من أرض المعركة ويرفضون الخدمة والتوجه حتى إلى أرض القتال.

وبدأ التغيير يصل إلى القيادات العليا في الجيش الذي لم يحصل في تاريخ حروب إسرائيل كلها إلا مرة واحدة في حرب أكتوبر 1973 التي كادت إسرائيل أن تعرف فيها هزيمة لولا تراجع بعض القيادات العربية.

وهكذا جاء التحرك الأمريكي المفاجئ والسريع لإيقاف الحرب، بعدما تأكد لها أن إسرائيل بدأت تخسر على الأرض، وأن لا أمل في تحقيق أي مكاسب من هذه الحرب، فجاء «وولش» حاملا معه ما يحقق للبنان بعضا من مطالبه وما يحفظ لإسرائيل بعضا من ماء وجهها الذي خسرته عسكريا.

إن خسارة إسرائيل لهذه الحرب ستكون بداية منعطف جديد في منطقة الشرق الأوسط وستكون له تداعياته السلبية على الكيان الصهيوني بوصفه لم يعد متفوقا على جيرانه ولم يعد بإمكانه أن يدير الحروب دون أن تتعرض مدنه وقراه للدمار وأن يعاني إقتصاده من الإنهيار، فقد حققت المقاومة اللبنانية توازنا في الردع ستجعل هذا العدو يفكر ألف مرة قبل أن يقدم على حرب قادمة، فلم تعد الحرب مجرد نزهة لإسرائيل وإنما معاناة كبيرة تذرف فيها الدموع وتهدم فيها المصانع ويخسر فيها الإقتصاد ويهجر فيها المستوطنون.

سيعود الأسرى وربما تعود مزارع شبعا الغنية بالمياه وستعود معها سيادة لبنان بعدما حققت له المقاومة توازن الرعب بصمودها الأسطوري وصواريخها التي ظلت تنهمر على شمال فلسطين المحتلة حتى دقائق عدة قبل الوقت المحدد من طرف الأمين العام للأمم المتحدة السيد كوفي عنان لوقف العمليات العسكرية.

لقد وحدت هذه الحرب الشعب اللبناني ورأينا صورا كثيرة من التضامن الإجتماعي الذي سيكون له أثره الطيب في مجال الوحدة الوطنية. لقد أسهمت هذه الحرب في إحراج أصدقاء أمريكا وحلفائها في الداخل وحشرهم في الزاوية بحيث أصبحت أصواتهم خافتة بعدما منحوا وسام الأرز لـ«جون بولتون» الذي دعم سقوط القنابل الذكية على أطفال لبنان ومساجده وكنائسه.

لقد نجحت المقاومة في إدارة الحرب وكسبتها وقد شكك بعض المرجفين في لبنان في قوة الردع لدى حزب الله وقالوا إنه سينتهي خلال أيام كما أنتهت منظمة التحرير الفلسطينية بعد الإجتياح الإسرائيلي للبنان سنة 1982، وستنجح في عملية البناء وستكسب المعركة السياسية التي ترى إسرائيل أنها بمقدورها أن تحقق من خلالها ما عجزت عنه في الحرب من خلال دعم أصدقائها في لبنان.

لقد قوى إنتصار المقاومة في لبنان من فرص فرض معادلة تبادل الأسرى بين حكومة حماس والكيان الإسرائيلي ودعم كذلك موقفها المقاوم والداعي إلى التمسك بالسلاح.

لقد أثبت رهان هذه الدول على نجاعة المقاومة صحته وحسن من موقعها التفاوضي ومكانتها الدولية مقابل تراجع دور بعض الدول العربية المهمة في عملية السلام ولم يزرها أي مسؤول أمريكي خلال هذه الحرب مما سيسهم في تهميش دورها مستقبلا.

لقد كانت المقاومة الإسلامية في لبنان عند حسن ظن الكثيرين في العالم الإسلامي وحققت إنتصارا باهرا على أكبر قوة في الشرق الأوسط وخامس قوة عسكرية في العالم وبذلك فتحت صفحة جديدة من الأمل أمام الشعوب العربية والإسلامية بأن يتحقق حلمها في شرق أوسط لا تهيمن عليه إسرائيل.

لقد إعتبر العرب أن عملية السلام التي بدأت في مدريد ودفنت في جنوب لبنان تحت أنقاض ما خلفته الحرب ولذلك قرر العرب الرجوع إلى مجلس الأمن بوصفه المسؤول الوحيد عن السلم والأمن العالميين وبذلك يتم التخلي عن وصاية اللجنة الرباعية وخارطة الطريق التي لم تؤد إلا إلى مزيد من المآسي والدمار والإحتلال.

*كاتب من موريتانيا

أمريكا تعيد العالم للاطوار البدائية

عبدالعزيز محمد الخاطر

■ ثمه فرق بين توافق الدين مع السياسة وبين أن يكون الدين حلاً سياسياً، توافق الدين مع السياسة له بعد ثقافي ومجال أرحب ويتطلب عقلاً منفتحاً يعي الأبعاد السياسية والواقع المعاش بمعنى أنه يتطلب ثقافة ولا يتطلب حدية العقيدة كما يفهمها البعض. أما أن يكون الدين حلاً لمشاكل العالم السياسية المتجددة فذلك مستحيل لأنه في ذلك الحال لم تعد هناك سياسة أصلاً في هذا التصور والسياسة في الحقيقة تقوم على الواقع ومعايشته في حين أن الدين في معظمه مطلق لدى فهم الأكثرية الإسلامية بالذات على الاقل وتزيد من حدته في هذا الاتجاه ما يشهده العالم اليوم من آثار خطيرة للعولمة جعلت من الإنسان يفقد ذاته ويرتد الى مرجعياته الأولية في مواجهة طغيان المادة والشركات العالمية التي قد لا تمثل حالة ذات أبعاد إنسانية واضحة أمام هاجس وحمى الربح.

لذلك فالأمر يتطلب منا كمسلمين التنبه الى هذه المحاور بشكل أكبر. فخلاصة ما يريده العدو هو أن يجعلنا نتمركز حول فهم معين لديننا يتمثل في اتجاه المطلق الذى لا يحتمل العصر المعاش إلا على صورة واحدة ماضوية سابقة ويجعل من همنا الأول والأخير ليس النظر الى الأمام بقدر ما العودة الى الوراء. حرب لبنان الأخيرة هذه كشفت أن للأمة قدرة على المقاومة والصمود مجتمعة وتحت شعار يحتضن الجميع.

من الاجدر للأمة ان تحارب تحت شعارات إنسانية لا دينية ضيقة حتى لا تنكمش التفسيرات العقائدية لدى النفوس الى أقصى درجة لتبدو وكأنها حالة خلاصية فردية. فمن يغتصب الأرض يجب أن يقاوم ومن يعتدي على الحقوق ولا يعمل معياراً للقيم الإنسانية يجب أن يوقف ومن يقتل الأطفال والشيوخ والنساء يجب أن يقاوم ويحارب. حرمة الدم والعرض والمكان وحرية المعتقد جميعها مسلمات إنسانية تتوافق معها جميع الديانات بلا استثناء.

يجب التنبه الى أهمية خروجنا الى العصر بثقافة تتعامل معه بثقة بل وتتجاوزه لا الى سحب العصر الى ما نعتقد أنه خاص بنا دون غيرنا وهو ما تقوم به إسرائيل وستفشل في ذلك حتماً لاحقاً. اليوم المسلمون بالذات أمام اختبار كبير يتمثل في تريب أو تشكك البعض في صلاحية دينهم للعصر وهم بشاركون مع الأسف في ترسيخ ذلك في فتحهم لجبهات داخلية انقسامية تاريخية كان من المفروض تجاوزها. فالمسؤولية كبيرة أمام الله لأن الشعار الإلهي واضح وضوح الشمس «أن هذه أمتكم أمة واحدة» ومدلولاته كذلك، لقد أبتلى الإسلام بنا كمسلمين نريده كسباً في دنيا فانية. ان التيقن بأن الدين الإسلامي كثقافة يحتمل السياسة بأبعادها ولذلك جاء النص القرآني حمال أوجه وذا طبقات للفهم واحدة فوق الأخرى فالحلول اليوم دائماً سياسية ويحتملها الإسلام لأنه دين الإنسانية تبقى مسألة القوة والضعف فالمسلمون اليوم ضعفاء وقد اضعفوا الإسلام كذلك فهذه المعضلة حياتية تتطلب ثقافة دنيوية ذات أبعاد دينية وليس العكس بمعنى أن تكون هناك ثقافة إسلامية واحدة تحتضن الجميع تقوم على حب العمل والانجاز والريادة في الدنيا والآخرة، لا أن تتطاحن المفاهيم والمذاهب/ داخل الدين الواحد من أجل أهداف ومكاسب دنيوية.

ثمة أمل للمسلمين داخلياً إذا ما سادت ثقافة التسامح الإسلامية بينهم واعتقدوا أن تنوع المذاهب نوع من الثراء للهدف المشترك الإنساني بالضرورة نحن كمسلمين مجبرين أن نصل الى نقطة التقاء تنبذ العنف فيما بيننا لنواجه بالتالي إرهاصات العصر الجديدة المتنوعة. فالإدارة الأمريكية اليوم تعيد العالم الى الطور الديني التاريخي لما قبل الحداثة فاذا كانت الحداثة في أحد تجلياتها زياحة سلطة الدين كمرتكز وسيادة العقل وما بعد الحداثة تزيح العقل وتسيد العدم فان ما تقوم به الإدارة الأمريكية اليوم هو نفي النفي بالتعبير الماركسي وإعادة العالم الى نقطة البداية من جديد ولكن من محاسن العملية الديمقراطية الغربية أو النموذج الغربي منها فقط أنها لا تؤبد الأشخاص والإدارات أكثر مما يجب وهنا يكمن الأمل ولكن بعد صياغة العالم الإسلامي لبنيته الداخلية بشكل يجعل منه قادراً على مواجهة تقلبات العصر وإرهاصاته.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Qods Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364